مجلة الدراسات التاريخية
مجلد23 العدد02 السنة2023 ص ص436/411
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مواقف الدكتور سعد الله من التواجد العثماني في الجزائر من خلال مؤلفاته

Dr. Saadallah's Positions on the Ottoman Presence in Algeria through his writings

د/ محفوظ حني [1]

[1] جامعة غرداية، mahfoud1647.mh@gmail.com

تاريخ الاستلام: 26 /04 / 22 تاريخ القبول: 10 /06 / 22

Abstract:

The article addresses in details Dr. Saad Allah's view of the Ottoman presence in the Regency of Algiers, of which historians differ. In this article, we will attempt to use and delve into his valuable writings to demonstrate his view on the Turkish Ottomans generally, and on the matter of their governing of the country specifically.

We have chosen three areas that were the focus of their relationship with the people of the country to gauge the extent of their positive and negative influence. According to Dr. Saadallah,

the cultural aspects embody the negative influence of the Ottoman presence evident in the intellectual stagnation that characterized that era along with the social exclusion of the population, influenced by people in control of the authority and the newcomers from abroad. Despite the fact he commended the Turkish governors for they liberated many Algerian coasts that were occupied by the Spanish, he

retracted his view and openly pictured that presence as the French colonization in a study day held at the University of Ghardaia.

Keywords:
Saadallah; Turkish Ottomans; the Ottoman Presence, Regency of Algiers; The Ottoman Era.

المؤلف المرسل: محفوظ حني
البريد الالكتروني: mahfoud1647.mh@gmail.com

الملخص:

يتطرق المقال بتفصيل إلى نظرة الدكتور سعد الله للحضور العثماني بإيالة الجزائر، الذي اختلف بشأنه المؤرخون. سنحاول فيه الاستعانة والتعمق في مؤلفاته القيمة، لتبيان رأيه في الأتراك العثمانيين عموما ومسألة إدارتهم للبلاد خصوصا.

ولقد قمنا باختيار ثلاثة ميادين شكلت محور علاقتهم بأهل البلاد لقياس مدى تأثيرهم الإيجابي والسلبي. ولقد اعتبرت الجوانب الثقافية حسب الدكتور أبرز سلبيات ذلك التواجد للجمود الفكري الذي ميز ذلك العهد، فضلا عن عزل السكان اجتماعيا من خلال تأثير المسيطرين على السلطة والوافدين من خارج البلاد. ولو أنه أثنى على الحكام الأتراك لتمكنهم من تحرير عدة سواحل جزائرية كانت محتلة من طرف الإسبان، قبل أن يعود ويشبه ذلك التواجد صراحة في يوم دراسي مقام بجامعة غرداية بالاستعمار الفرنسي.

الكلمات المفتاحية:

سعد الله؛ الأتراك العثمانيون؛ التواجد العثماني؛ إيالة الجزائر؛ العهد العثماني.

1. مقدمة:

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد23 العدد02 السنة2023 ص ص436/411
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

تعتبر وفاة شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله في 13 ديسمبر 2013 علامة فارقة وخسارة كبيرة في تاريخ الجزائر، وإذ نحن نثمن نداء أسرة تحرير مجلة الدراسات التاريخية التي تصدر عن قسم التاريخ بجامعة الجزائر 2 للباحثين، المساهمة في إصدار عدد خاص عن أساتذة القسم الذين وافتهم المنية، ومنهم الدكتور سعد الله، للتعريف بهذه الشخصية وبمنهجها وتآليفها ومساهمتها في التراث والثقافة الجزائرية، والتي أصبحت علما من أعلام الجزائر بكتبها العديدة التي ألفت عن تاريخها بين تأليف وتحقيق وترجمة. ارتأينا المشاركة بهذا المقال وهو دراسة جزئية طالما شغلت الباحثين ألا وهي مناقشة التواجد العثماني في البلاد، ولكن من خلال مؤلفات هذه القامة العلمية الكبيرة.

لقد كرس المرحوم جزء كبيرا من حياته في البحث والتنقيب عن المخطوطات وتتبع سير وآثار العلماء الجزائريين عبر مختلف حقب تاريخ البلاد، فمن المؤكد جدا ترسخ فكرة له عن كل عهد من عهود الدول التي حكمت الجزائر أو المغرب الأوسط في تاريخه الإسلامي الوسيط وإيالة الجزائر في تاريخها الحديث، مما شكل دافعا مهما للتطرق لآرائه عن التواجد العثماني، التي اختلف بشأنه الباحثون والمؤرخون من داعم إلى متحفظ إلى رافض له ورميه بمختلف مظاهر الجهل والتخلف. هذا من جهة نظرة الجزائريين، أما من حيث نظرة المشارقة فلم تكن أحسن حالا منا حيث اعتبروه احتلالا. ونظرا لتمكن الدكتور سعد الله من أدوات البحث والتأريخ وذيوع مؤلفاته في الجزائر والمشرق من خلال دار الغرب الإسلامي، فإننا نطرح الإشكال

الآتي: فيم تتمثل آراء الدكتور سعد الله عن الوجود العثماني في الجزائر من خلال الجوانب الثقافية والسياسية والاجتماعية؟

وعليه، انطلاقا من مؤلفات المرحوم مثلما يمكن تشبيهه بعملية جرد لها، نعمد من خلالها إلى تكوين صورة عن موقفه من الأتراك العثمانيين ومسألة إدارتهم لإيالة الجزائر، للإجابة على إشكالية طالما كانت مجال جدال، كما نسعى إلى طرح وجهة النظر التاريخية حول بعض الآراء العامة للمرحوم بالرجوع إلى مصادر الحقبة العثمانية، توضيحا لا تقليلا لها.

2. ميادين الدراسة:

1.2 . الميدان الثقافي:

ألف الدكتور سعد الله كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" بجزأيه الأول سنة 1981م، والثاني سنة 1985م وكلاهما يتعلقان بالعهد العثماني، ويمثلان جهود ربع قرن من سنة 1960م. والجزءان عنيا بالبحث عن الآثار الأدبية والعلمية لعلماء الجزائر في تلك الفترة. وكان هدفه من البحث "هو إنتاج عمل يكشف عن مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية والإنسانية عبر العصور، ذلك أن المستعمرين الفرنسيين قد بثوا طيلة احتلالهم للجزائر أنه لم يكن لأهلها ماض سياسي ولا ثقافي"[1].

ويرى المرحوم أن سلبية الوجود العثماني ظهرت في الميدان الثقافي، فالعثمانيون حسبه قد دافعوا منذ البداية عن الدين الإسلامي، وشجعوا تيار التصوف، وأوقفوا أوقافا على المؤسسات الدينية، وساهموا مساهمة كبيرة في بناء الزوايا والمساجد والكتاتيب، فكأن نظرتهم إلى الدين في البلاد كانت "نظرة تعبدية محضة" فهم لم يؤسسوا جامعة كالقرويين أو الأزهر أو الزيتونة، تقوم ببث العلم

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وتخريج العلماء والكتّاب وتحفيظ اللغة وتربية العقل. ويضيف أنهم لم يكونوا يتكلمون لغة أهل البلد، ولا يتذوقون أدبه، ولا يقرئون كتبه ولا يتصلون بعلمائه كما فعل مثلا سلاطين المغرب الأقصى أو حتى بايات إيالة تونس بعد تأسيس العائلة الحسينية[2].

وقد أطلق على ذلك العهد بالجمود الثقافي رغم أنه ليس خاصا بالجزائر فحسب، فلو كانت الثقافة في بقية أقطار العالم الإسلامي حية ونشيطة لكان استفاد منها الجزائريون أيضا حسب تعبيره، لأن العديد من علمائهم كانوا يقصدون المعاهد الإسلامية في سعيهم لطلب العلم[3].

ورغم ذلك فإنه يقر أن الحياة بدأت تدب في القرن 11هـ/ 17م باستقرار الأوضاع السياسية، وازدهار الأوضاع الاقتصادية، وتوافد العلماء المسلمين على الإيالة ووفرة الكتب. ولقد أكد أيضا أن القرن 12هـ/ 18م وأوائل القرن 13هـ/ 19م شهد حركة قوية في صفوف العلماء والاهتمام بالتعليم وكثرة التآليف، وقد ذكر مساهمة بعض البايات في هذه الحركة أمثال صالح باي قسنطينة[4] والحاج محمد الكبير باي وهران[5] أثناء القرن 18م. كما استشهد باهتمام العلماء الجزائريين منذ استرجاع وهران سنة 1792م بالعالم الخارجي؛ فاهتم أبو راس الناصر[6] بأثر الحملة الفرنسية على مصر والشام وبالحركة الوهابية، وكتب المفتي الحنفي ابن العنابي[7] كتابا عن الإصلاح الاجتماعي والحربي للجيوش الإسلامية، دعا من خلاله إلى الأخذ بنظم الغرب ما لم تتعارض مع تعاليم الإسلام...[8].

أما موقفه من التعليم فقد أكده في مبحث: "بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني 1518- 1830م" من محتوى كتابه: "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، الجزء 5، الذي انطلق فيه من إشكالية أساسية: "ما التحولات التي طرأت على نظام التعليم في الجزائر أثناء الحكم العثماني أو بسبب هذا الحكم"؟[9]، والذي خلص في النهاية إلى النتائج التالية:

1- ملاحظة انعدام أية خطة لترقية التعليم منذ البداية، فقد تركت أموره إلى الصدفة، وإلى رغبة الأفراد وإمكاناتهم، ومشاعرهم الدينية، لذلك فهو ينشط أحيانا ويضعف أحيانا أخرى.

2- أن التعليم والدين كانا متلازمان؛ فالدرس والصلاة أو المدرسة والجامع أو المدرّس والإمام كانا شيئا واحدا تقريبا، فكان التعليم موجها أساسا لخدمة الدين، ولحفظ القرآن، ومعرفة العبادات والمعاملات، وحماية الآداب العامة، وتربية الأخلاق الفاضلة... أما شؤون الدنيا من حرب وسلم ومعاش واقتصاد وزراعة... فلم تكن من مجال اهتمام التعليم في الفترة المذكورة.

3- إن الأدب المكتوب في العهد العثماني قد تركز على الشخصيات التي لعبت دورا في الجهاد أمثال: الباي محمد الكبير الذي استرد وهران للمرة الثانية والأخيرة من الإسبان، فقد خصه أبو راس وغيره بمؤلفات تمدحه وتشيد بجهوده، بينما كان هناك حكام طالت مدتهم ومع ذلك لم يظفروا بأي مدح أو تخليد.

4- كان التعليم قبل العثمانيين راسخا في مدن أخرى مثل تلمسان وقسنطينة لتغلب قيمتهما الحضارية، ولكن انتقال الإدارة المحلية إلى مرسى صغير ومدينة تكاد تكون مهملة كمدينة الجزائر جعل التعليم يصاب بالشلل منذ

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

البداية، ثم احتاج الأمر إلى حوالي قرن لتثبت العاصمة الجديدة جدارتها في قيادة البلاد فكريا كما كانت تقودها عسكريا وسياسيا، ورغم ذلك فإنها لم تستطع طيلة العهد العثماني أن تكون مركزا فكريا كما كانت تلمسان قبل هذا العهد.

5- شهدت 40 سنة الأخيرة من الحكم العثماني بداية نهضة في التعليم تمثلت في بناء المدارس ووقف الأوقاف عليها والعناية بالمساجد والترحيب بالعلماء، وكان وراء هذه النهضة التي سماها الدكتور بغير المتعمدة بعض البايات أمثال: صالح باي ومحمد الكبير وبعض الباشاوات أمثال مصطفى باشا (1798- 1805)م والداي حسين (1818- 1830)م[10]، ومن علامات ذلك وجود علماء تخرجوا من الأزهر أمثال: ابن العنابي الذي كتب كتابه "السعي المحمود" السابق ذكره، دعا فيه إلى الإصلاح السياسي والعسكري. كما أن حمدان خوجة[11] قد طاف أوروبا خلال هذه الفترة، وكان من المتنورين بمفهوم التنوير الأوروبي... كل ذلك يعتبر من المؤشرات لنهضة تعليمية واعدة حسب الدكتور أشارت إليها التقارير الفرنسية، ولكنها نهضة حكم عليها الاحتلال بالموت، إذ جعل المثقفين يهاجرون، والطلبة يشتغلون بالمقاومة، وخفت المدارس والمساجد، ونضبت الأوقاف[12].

كما يعتبر الدكتور من ناحية أخرى أنّ من خصائص ذات العهد انتشار الطرق والمذاهب الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لها[13]. والزوايا نوعان: زاوية

الريف، وزاوية المدينة، ويظهر الدور الايجابي للصنف الأول في التعليم على الخصوص، فإضافة إلى وظيفتها الدينية كانت معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة. ويعتقد أنها أدت دورا أكثر إيجابية من الزاوية في المدينة، حيث كانت حسبه في بداية العهد المدروس عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء تحت قيادة المرابطين، الذين تحالف بعضهم مع العثمانيين من أجل الدين وحماية البلاد وقدموا لهم المساعدات الأساسية؛ من تجنيد للشعب ورفع الروح المعنوية له، وجمع المؤن والمعدات. ولكن وبعد القضاء على الخطر الخارجي الداهم بدأت الدوافع الجهادية تضعف بالتدريج، فعاد المرابطون إلى قواعدهم الأولى وأصبحوا على صلة بالشعب أكثر من صلتهم بالسلطة العثمانية، وكان على الأخيرة أن تؤيدهم بعطايا سخية، وإعفاء من الضرائب حتى لا تضعف رابطتها بهم، غير أن بعض الزوايا أصبحت مراكز لتدريب الأتباع على الثورة على العثمانيين، ولا سيما في أواخر العهد، وأهمها ثورتي بن عبد الله الدرقاوي وابن الأحرش[14]. غير أنه أكد أيضا على أن بعض الزوايا في المدن قامت بدور إيجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته، إلا أن معظمها كانت معطلة لوجود الكتاتيب من جهة، والمساجد والمدارس المخصصة من جهة أخرى[15].

مما سبق، يصل الدكتور سعد الله إلى نتيجة "اختلاط وظيفة المدرسة والزاوية والجامع في ميدان التعليم"، حيث "كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه، وخاصة الثانوي". ويضيف أنه إذا كانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس؛ فقد كانت أيضا مساكن للطلبة الذين يدرسون بها، كما كانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى بالمساجد، وكثيرا ما كان الوقف ينص على إنشاء "زاوية وجامع ومدرسة في نفس الوقت"، ليختم هذا العنصر بالقول أنه من الصعب تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات الثلاث مجتمعة،

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مبررا ذلك بأن التعليم يقوم قبل كل شيء في المجتمع على الدين، وتؤدي فيه المساجد والزوايا "وليس المدارس" الدور الرئيسي[16].

2.2 الميدان السياسي:

يؤكد الدكتور سعد الله على موقفه من الوجود العثماني في الجزائر في الميدان السياسي بذكره "للجانب الأسود"، حيث ذكر أن الحكام كانوا يأتون دائما من خارج الجزائر، وكان أغلبهم لا يتكلم إلا باللسان التركي، ومن أصول مختلفة (تركية ويونانية وألبانية وإيطالية...)، ولذلك كانوا ينعتون بالأعلاج، وأنهم في معظم الأحيان كانوا "جهلة" لا يعرفون حتى القراءة والكتابة، كما كانوا "مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط"، وأنهم كانوا يحكمون الجزائر "بيد من حديد"، ولا يسمحون للجزائريين أن يقتربوا من النفوذ السياسي، وقد مكنوا طائفة اليهود من الارتقاء في الاقتصاد، كما كانوا "جفاة غلاظا" امتاز عهدهم بـ "العنف الدموي"، وقصر فترات حكمهم، "وبالفوضى وانتشار الرشوة والظلم والفساد"[17].

أما الجانب المضيء من تواجدهم حسب تعبيره فهو أنهم قد أنقذوا بتدخلهم المغرب الإسلامي بداية القرن 10هـ/ 16م من احتلال أجنبي مؤكد. كما أقاموا في الجزائر حكم إسلامي "ثابت وقوي" استمر طيلة ثلاثة قرون في صد كل محاولات الغزو الأجنبي. لكن يعود الدكتور ويفصل في نقطة هامة، حيث أنه وبالرغم أن معاملة الجزائريين لهم كانت على أساس الأخوّة الإسلامية، فإنهم لم يشركوا الجزائريين معهم في الحكم بل احتكروه لأنفسهم بأن جعلوه تركيا طيلة وجودهم في البلاد، ليختم الفقرة بهذه العبارة: "وإذا كان للوجود العثماني مبررات دولية في القرن

العاشر (16م) فإنه لم يبق له مبررات في القرنين الحادي عشر والثانية عشر (17 و18م)، ولا سيما بعد تراجع المد الإسباني والبرتغالي"[18].

وبناء على آرائه وليعطي أمثلة، فهو يرى مثلا أن حكومة الداي حسين تخلت عن مسؤوليتها الإسلامية والوطنية، وتركت الشعب وحده وجها لوجه يواجه الغزاة الفرنسيين، وبالتالي فهو يعتقد أن الجزائر لم تنهزم لأنها في الحقيقة لم تحارب، وقد عبر عن ذلك في مقدمة الجزء الأول من كتابه "الحركة الوطنية الجزائرية" الذي أصدره عام 1992م بعد صدور جزئيه الثاني منذ سنة 1969م والثالث في 1975م[19].

وفي الجزء الأول دائما يروي المواقف التي صاحبت احتلال الجزائر من جميع الأوجه، حيث يرى مثلا أن المؤرخين غير متفقين على شخصية حسين باشا، حيث نجد منهم من قام بتحميله "مسؤولية ما حل بالجزائر من حملة واحتلال ونكبات"، ومنهم من يبرئه من ذلك بناء على بذله لقصارى جهوده إلى آخر لحظة، ليعطي رأيه الشخصي فيه، ولقد لاحظنا أنه تجنب تسميته بالداي، والذي قال فيه: "لا نعتقد أن حسين باشا كان يحس إحساسا وطنيا بانتمائه إلى الجزائر، كما لا نعتقد أنه كان يحس إحساس الحاكم البطل، الذي يقدر دوره في التاريخ، ولا الحاكم المسلم الذي يقدر بعمق معنى الجهاد. وفي اعتقادنا أنه مجرد "حاكم"[20].

ولقد استمر الدكتور سعد الله في موقفه من الحكم العثماني، بل إنه فاجأ الحضور في اليوم الدراسي 'البحر المتوسط في التاريخ" الواقع برحاب جامعة غرداية سنة 2010[21]، والذي كان المرحوم ضيف شرفه، حين وصف في مداخلة له التواجد العثماني في الجزائر بـ "الاحتلال" مؤكدا على ذلك بأنه لا يختلف عن الاستعمار الفرنسي.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

على أن الدكتور استثنى في كتاباته حكاما في صورة بعض البايات أمثال باي قسنطينة صالح باي، الذي استفسر عن عدم الاهتمام بهذه الشخصية، التي تكاد تكون مجهولة مقارنة بشخصيات تاريخية أخرى كالأمير عبد القادر[22]... "رغم ما قام به من نضال، وما شاده من نظام، ورغم مواقفه في سبيل الإسلام والخلافة"، متسائلا عن سبب الإهمال؟ هل لكرغوليته؟ أم هل لأنه حارب الفرنسيين باسم الخلافة الإسلامية لا باسم الدين والوطنية؟ أم هل لأنه رفض التحالف مع الأمير عبد القادر؟ مشيدا بحنكته السياسية، ومواقفه البطولية، وغيرته الدينية، وبنجاحه في كسب قلوب رعاياه، ومهارته في تنظيم الجند، ووضع الخطط العسكرية، وتنظيم واستتباب الأمن في إقليم قسنطينة، وجعله مجلس شورى من أعيان البلاد، والتحالف مع العائلات الكبيرة وربط علاقات مع أصهاره... وهي صفات حسبه تميز الحاكم القدير[23].

أما الباي الآخر فهو محمد الكبير باي وهران، الذي قال فيه أيضا أنه كان شخصية جديرة بتسليط الأضواء أيضا لتقلبه مناصب مختلفة ومعاصرته لتطورات كثيرة ساهم في توجيهها كاشتراكه في الحرب ضد الإسبان لتحرير عاصمة بايلك الغرب، وقيادته حملة بنفسه إلى الصحراء[24] لإخضاع أهلها لسلطة الداي، كما عرف عن تشجيعه للعلماء والأدباء والطلبة وإقامته للمدارس والعمارة[25].

بالرغم من ذلك استثنى المرحوم بعض الأتراك المتبقين في الجزائر، الذين كانوا يسعون إلى السلطة في صورة باي التيطري مصطفى بومرزاق، الذي أعلن الالتزام بالاتفاق المبرم بين الداي حسين وقائد الحملة الفرنسية دو بورمون De

(Bormuont) (05 جويلية- 12 أوت 1830م)[26]، وقد أبقاه هذا في مكانه بايا، ولكن سرعان ما أعلن الحرب على العدو الفرنسي بعد معركة البليدة، وادعى لقب الباشا بنفسه بعد رحيل الداي حسين، وراسل الباي أحمد بقسنطينة ودعاه لطاعته، وحارب جيش كلوزيل (08 جويلية 1835 إلى 12 فيفري 1837)م[27] فتم عزله وتبديله بمصطفى بن الحاج عمر[28]... ليعود ويؤكد أن شخصية هذا الباي كثر حولها الكلام، ولم تدرس بعد دراسة تاريخية، وأنه كان مضطربا تبعا لاضطراب الأحوال فهو مرة يقبل التعاون مع الاحتلال ومرة يحاربهم، إلى أن قبل بالأمان الذي أعطي له، وغادر الجزائر نحو الشرق حيث توفي هناك[29].

وبدراسته لحياة الداي شعبان[30] الذي أفرد قسم خاص به سماه "من أخبار شعبان باشا داي الجزائر 1695 من كتاب الشهب المشرقة" لأحمد برناز، الذي أورده في كتابه أبحاث وآراء، الجزء 2، وفي حديثه عن نهاية الداي أكد أن معظم الحكام قد ساروا في نفس الطريق من "الاستيلاء على السلطة بالعنف، وظلم الناس، وجمع المال، والقيام بمغامرات، والتظاهر بالتدين، ثم السقوط بنفس الطريقة وهي العنف والنهاية الدموية، التي لا يراعى فيها أخلاق الأحياء ولا حرمة الأموات"، وما القصص التي ساقها حسبه أحمد برناز إلا تأكيدا لما عرف من حكام هذا العهد[31].

3.2 . الميدان الاجتماعي:

يؤكد الدكتور سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، على أن الحكام العثمانيين من جملة أفعالهم في الميدان السياسي كانت لهم أخطاء في الجانب الاجتماعي أيضا، حيث كانوا "يسلبون" أموال وثروات الناس عن طريق "الضرائب والرشى والهدايا"، ويتعدون على حرمات الأوقاف، وأموال العجزة واليتامى، وكانوا يفضلون الأسيرة المسيحية خاصة على المرأة الجزائرية، كما كانوا لا يتكلمون لغة أهل

البلاد ولا يستعملونها في الإدارة إلا قليلا، ثم كانوا أيضا لا يوظفونهم إلا في الوظائف الثانوية، ولا يسوون في تطبيق أحكام الشريعة بين المسلم الجزائري والمسلم العثماني[32].

كما تحدث في فصل "صورة لمدينة الجزائر في القرن 10هـ/ 16م" من كتابه: "بحوث في التاريخ العربي الإسلامي" عن الحياة الاجتماعية، حيث وصف التجارة والعمران بالمدينة والمجتمع وعدد السكان، كما تطرق إلى أسواق المدينة والحرف الممتهنة، وكذا المنشآت الدينية والتعليمية، فوصف الجوامع والمساجد التي هدمها الفرنسيون أو التي بقيت قائمة إلى اليوم. كما أورد الحملات الخارجية للجزائر، وكيف تمكنت الجزائر من ردها ومن أهمها حملة ملك إسبانيا شارلكان[33] في 1541م، التي أكد فيها على دور السكان في الانتصار عليه. لكن الذي يهمنا من المداخلة هو ما ذكره في الخاتمة، فبالرغم من كل إيجابيات الحكم العثماني إلا أن هناك نتائج سلبية ترتبت على التحول الذي عاشته مدينة الجزائر خلال القرن 16م، وتنم عن نظرته لهذا الوجود:

الأولى: تدني وضع أهل مدينة الجزائر بعد أن أصبحت مدينتهم تعج بـ "الغرباء" من الأتراك والأندلسيين واليهود ومغامري شواطئ البحر المتوسط، الذين أصبحوا فئات ممتازة تتمتع بالثروات الطائلة، التي يأتي بها البحر والتجارة، وانتزعوا السلطة السياسية من أهل البلاد، وعاملوهم كطبقة ثانية.

الثانية: تساءل الدكتور سعد الله رغم الخدمة التي سماها بالجليلة للإخوة بربروس ونخص بالذكر عروج (1470- 1518)م[34]، فساعدوا الجزائريين على الإسبان

الذين استضعفوا أهل المدينة وحاصروهم وفرضوا عليهم الضرائب، إن كان أولئك الإخوة لهم الحق في فرض أنفسهم على السكان بمختلف الوسائل، ثم إلحاق بلادهم وأهلها بالباب العالي؟

الثالثة: لقد بقي حكام الأتراك العثمانيون، وأنصارهم من اليهود والمسلمين الجدد أو الأعلاج، ومنكوبي الأندلس طيلة 3 قرون، وفي أثناء هذا العمل الطويل لم يتول أي جزائري واحد مقاليد السلطة العليا بل إن الحاكم ظل دائما ممن ولد خارج الجزائر[35].

3. تحليل النتائج:

لقد أرجع الدكتور سعد الله محدودية الثقافة الجزائرية إلى طبيعة الإدارة، ونوعية الحكم، ومواقف الحكام، وإلى تأثيرات الفوضى السياسية، والاضطرابات الاجتماعية لذلك سمى الحكام العثمانيين بـ "الجهلة". ويضيف أن الذي يحسب على الدولة العثمانية هو أنها لم تعمل على عرقلة ومحاربة التعليم الخاص الذي انتشر انتشارا واسعا، وذلك لتجنيبها معارضة وغضب الأهالي المحكومين، مما جعلها تبقي على الوضع القائم[36]. أما سياستهم التي تمثلت في تشجيع التصوف، ووقف بعض الأوقاف على المؤسسات، وبناء الزوايا والمساجد والكتاتيب... فلم يغدو أن يكون هذا العمل لكسب ود أهل البلاد، وتجنب الثورة عليهم، وتغيير الوضع القائم. وينم هذا التحليل عن تطور في مواقف الدكتور، نظرا لإلمامه بآثار العلماء والحركية الثقافية في ذلك العهد.

إذا، يعتبر الدكتور أن العثمانيين لم يهتموا كثيرا بالجانب التعليمي ولم تكن لهم سياسة تعليمية واضحة إلا أنهم احترموا العلماء ووضعوا لهم مكانة محترمة

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

تليق بهم. كما اجتنبوا اتخاذ تلمسان عاصمة لهم رغم قيمتها الحضارية في ذلك الوقت لتغلب موروثها الثقافي على المدينة أو العاصمة الجديدة.

أما في الجانب السياسي، فلقد كانت مدينة الجزائر مع مجيء الأتراك العثمانيين مركزا هاما للنشاط البحري، ومقرا للقنصليات الأوروبية المختلفة، وتبوئت إيالة الجزائر مكانة مرموقة مقارنة بباقي الإيالات المغاربية الأخرى. ولكن هذا العهد لم يكن ليحمل سلبيات لو تم إشراك العناصر المحلية وإسنادها بعض المسؤوليات في الحكم، وهو ما سبق أن أثار استياء المرحوم سعد الله. ولكن من جهة أخرى لم يكن يهم السكان على ما يبدو ما يحصل في دواليب الحكم لاستئثار الأقلية التركية بالحكم، وجعله في متناول الأعلاج أو المهتدين في بدايات الحكم العثماني، ثم السماح للكراغلة بشغل الوظائف المتوسطة وتولي بعض المناصب على مستوى البايلكات بعد أن منعت من تولي المناصب السياسية الكبرى لارتباطها بأصولها من الأهالي كذلك.

هذا، كما كانت بعض آرائه تحتاج إلى توضيح أكثر، حيث لم تظهر الطبيعة العسكرية للأتراك فيهم ميلا للثقافة والعلوم، كما أن حكم الجزائر "بيد من حديد" كان وصفا عاما، حيث كان لكل جماعة من الجماعات الحرفية والإثنية (العرقية) وخاصة الوافدة من الداخل أمينا يمثلها لدى السلطة المركزية، شكل حلقة وصل بين الحاكم والرعية. أما عن ما ذهب إليه من سلب الحكام الأتراك لأموال الناس بالضرائب، فلقد وقعت بعض الثورات أواخر العهد العثماني للتمرد على السلطة الحاكمة، حيث ضج الناس من ثقل الضرائب المفروضة عليهم بسبب شح موارد

البحر أو القرصنة وأهمها ثورتي بن الأحرش والدرقاوي. أما عن عدم استعمال اللغة العربية في الإدارة إلا قليلا حسب تعبير الدكتور، فلقد تم تسجيل وتحرير معاملات الجزائريين من بيع وشراء وتحبيس وتملك... في عقود المحكمتين المالكية والحنفية باللغتين؛ أي العثمانية مع نسخة بالعربية، هذا فضلا عن تحرير سجلات البايلك والمتعلق بإحصاء الأملاك التابعة للأوقاف وثمن كرائها، وسجلات بيت المال المشرفة على تصفية التركات بنفس الصيغة. لكن رغم هذه السلبيات فلم يخف المرحوم سعيا منه نحو الإنصاف ثنائه على الأتراك العثمانيين ومسألة تحريرهم للموانئ الجزائرية بسواعد محلية.

أما في الجانب الاجتماعي، فقد شكل مجيء العثمانيين لمدينة الجزائر واعتبارها عاصمة للإيالة تغيرا ملحوظا في البنية الاجتماعية التي كانت مكونة من الأهالي الجزائريين، خاصة مع وجود لحمة هامة للامتزاج الثقافي الموجود من قبل، كان من نتائجه تميز مجتمع المدينة بالتنوع، حيث تعددت الأجناس والأعراق، فكان فيها إلى جانب العنصر المحلي من حضر وأشراف ووافدين، الأقلية التركية والمولدين (الكراغلة) والأندلسيين، إضافة إلى عناصر أجنبية أوروبية مختلفة من النصارى، وكذلك اليهود، وأخيرا في ذيل الترتيب تأتي عناصر إفريقية من العبيد، كما تميز العهد العثماني بمختلف المذاهب والديانات مع تفاوت لأهمية كل عنصر ودوره في المدينة. ما ميز طبيعة هذا الحكم عدم تدخله في خصوصيات أي تركيبة سكانية، وترك لها حرية معتقدها وعاداتها وتقاليدها. ويرى الدكتور سعيدوني أن "... تصنيف سكان المدن حسب الانتماء العرقي كان الهدف منه حماية الامتيازات الاقتصادية والمكاسب المادية للطوائف المحظوظة، فلو لم يكن هذا الدافع الاقتصادي لما حافظ الأتراك

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

والكراغلة والأندلسيون أو البلدية والبرانية أو الدخلاء على تمايزهم العرقي طيلة العهد العثماني"[37].

4. الخاتمة:

مما سبق يمكن القول أن مواقف المرحوم الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله تجلت في المؤلفات التي ألفها، ولعل أهمها تاريخ الجزائر الثقافي، لكونه من المراجع الأساسية التي اعتمدناها، حيث توفّر على عدة معلومات تنم عن دقة الكاتب وباعه في الموضوع، وإلمامه بمختلف الدراسات المتعلقة بالعهد العثماني. ولقد بين فيه بوضوح مواقفه في ميادين الثقافة والتعليم وعن العلماء والمفكرين، لذا فأهم سلبيات ذلك التواجد تجسدت في الميدان الثقافي، وعدم وضوح سياسة تعليمية من شأنها الرفع من المستوى العلمي للجزائريين. لكن، هل يمكن أن نحمل الأتراك العثمانيين مسألة هذا الركود؟ إن لم يشجع العثمانيون التعليم هل عطّلوه؟ هل فرضوا مذهبا معيّنا على السكان؟

إجمالا، كانت نظرة شيخ المؤرخين للتواجد العثماني في الجزائر لا تكاد تختلف عن نظرة أغلب المؤرخين المشارقة، سواء في العراق أو بلاد الشام أو في مصر، على أساس أن التواجد العثماني لا يختلف عن الاحتلال؟ لأن التوسّع العثماني في بلاد المشرق تمّ بالضم العسكري، عكس ذلك في بلاد المغارب. ويظهر أن الرجل تأثر في بدايات مساره بل إلى فترة طويلة من مساره العلمي برواد المدرسة التاريخية بالمشرق العربي؛ بحكم دراسته بمصر وانطبع في ذهنه ذلك الموقف الذي لازمه في أغلب كتاباته... لاشك أنها غصّة باحث. لكن هذا الرأي قد استدركه في آخر

حياته ولمّح لذلك في أكثر من موضع على أن هذا الطرح هو رأي المدرسة التاريخية الاستعمارية بغية تشوية فترة التواجد العثماني في الإيالات المغاربية.

وفي الأخير طرح الدكتور هذه الأسئلة لعدد من القضايا التي تحتاج إلى بحث: لماذا هذا الاحتكار الاقتصادي الذي قاد إلى استغلال فظيع للرعية؟ لماذا هذا الاحتكار السياسي الذي كانت نتيجته الاستئثار بالسلطة دون أهل البلد؟ مؤكدا أن هذا الموقف سواء أكان الاستعمار الحديث، أو كان هو هو فإنه لا يتطابق مع التعاليم الإسلامية.

5. قائمة المراجع:

5-1 العربية:

1- التلمساني بن هطال، **رحلة محمد الكبير (باي الغرب الجزائري) إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، (القاهرة: عالم الكتب، ط 1، د.ت).

2- الحفناوي أبي القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي ابراهيم الغول، **تعريف الخلف برجال السلف**، (الجزائر: مطبعة بيير فونتانة الشرقية، 1324هـ/ 1906م).

3- الزياني محمد بن يوسف، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 2013).

4- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 1، (بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط 3، 1990م).

5- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 2، (بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1990م).

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

6- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 5، (بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، 2005م).

7- سعد الله أبو القاسم: محاضرة عن **الحضور العثماني في الجزائر**، اليوم الدراسي: "البحر المتوسط في التاريخ، يوم 26 جمادى الأولى 1431هـ الموافق لـ 10 ماي 2010م"، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، 2010.

8- سعد الله أبو القاسم، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1424هـ/ 2003م).

9- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1518- 1830**، ج 1، (بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1998م).

10- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900**، ج 1، (بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م).

11- سعد الله أبو القاسم، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، (بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1990م).

12- سعيدوني ناصر الدين، **نظرة في التاريخ الاقتصادي للجزائر في العهد العثماني**، سيرتا، مجلة تاريخية اجتماعية يصدرها دوريا معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة، ع 3، س 2، رجب 1400هـ/ ماي 1980م.

13- الشريف الزهار أحمد، **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ 1754- 1830م**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م).

14- الشويهد عبد الله بن محمد، **قانون أسواق مدينة الجزائر (1107- 1117هـ/ 1695- 1705م)**، تحقيق وتقديم وتعليق: د/ ناصر الدين سعيدوني، (بيروت -لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1427هـ/ 2006م).

15- قشي فاطمة الزهراء، (1419هـ/ 1998م)، **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى.

16- المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792**، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت).

17- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها**، دراسة وتحقيق فارس كعوان، (العلمة- الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2009).

18- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، (بيروت (لبنان): مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1400هـ/ 1980م).

19- هلايلي حنيفي، (2004) **"تاريخ الجزائر العثماني في كتابات أبو القاسم سعد الله بين ازدواجية التأليف والترجمة"**، الأعمال التاريخية والأدبية والفكرية للدكتور أبو القاسم سعد الله في ميزان الباحثين الجامعيين، الندوة التكريمية العلمية في مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، 12- 13 جانفي ، جامعة منتوري- قسنطينة: منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية.

2-5 الأجنبية:

Fray Diego de Haedo, **Histoire des rois d'Alger**, traduction par H. De Grammont, imp A Jourdan, Alger, 1881.

6. الهوامش:

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1518- 1830)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، د.ط، 1998، ج 1، ص 13.

[2] نفسه، ص 18.

[3] نفسه، ص 19.

[4] هو صالح بن مصطفى الزميرلي، استقر بدار السلطان وقد بلغ 16 من العمر حوالي 1741- 1742م. عينه باي قسنطينة احمد القلي مساعده ورفيقه لمهارته العسكرية وحسن تدبيره في الحملات الموسمية

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

للمحلة، وفي المعارك ضد بايات تونس، ثم كلفه بقيادة قبيلة الحراكتة لمدة تسع سنوات، ثم عينه كخليفة له ما بين سنوات 1756- 1771م حتى قام بتزويجه ابنته. ونظرا لقدراته اقترحه الباي خلفا له عند الداي محمد بن عثمان باشا، فتقلد منصب الباي سنة 1771م إلى غاية تنحيته ثم مقتله على يد الباي الجديد حسين باي بن حسن باي بوحانك (1792- 1795)م بأمر من الداي بابا حسن سنة 1792م. لمزيد من المعلومات حول حياة وسيرة ومساهمة صالح باي في تاريخ قسنطينة، ثم أسباب عزله فتمرده ومقتله. ينظر: فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)**، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، سنة 1419هـ/ 1998م، ص ص 87- 126.

[5] هو محمد بن عثمان بن أبي إسحاق الحاج عثمان الكردي، خلف الحاج خليل على الإيالة الغربية عام 1192هـ/ 1778م. ينظر: أحمد بن هطال التلمساني: **رحلة محمد الكبير (باي الغرب الجزائري) إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، د.ت، ص 15.

[6] هو سيدي محمد أبو راس بن احمد بن ناصر الراشدي الناصري، أخذ العلم واكتساب المعارف عن مشائخ مصر وتونس وفاس. كان يدعى في زمانه الحافظ لقوة حفظه وتمكنه من استحضار مسائله. له تآليف منها الرحلة التي ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب وذكر من لقي فيها من الأعيان وما جرت فيه المذاكرة بينهم، ومنها حاشية على السعد، وحاشية على المكودي، وشرح المقامات الحريرية، وشرح العقيقية، وشرح حلله السندسية، وكتاب التأسيس، وكتاب درء الشقاوة... توفي عام 1238هـ/ 1823م وهو بعمر التسعين عاما. ودفن بمدينة معسكر. ينظر: أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي ابراهيم الغول: **تعريف الخلف برجال السلف**، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ط، 1324هـ/ 1906م، ص ص 332- 333.

[7] هو سيدي حسين بن محمد العنابي، تولى الإفتاء في المرة الأولى خلفا لمحمد بن الماستجي ومكث ثلاث سنين إلى أن عزله الداي بكتاش خوجة، ثم في المرة الثانية لمدة شهرين خلفا لحسين خوجة الطوبال. ثم في المرة الثالثة لمدة عشرين شهرا خلفا لحسين الماستجي كذلك. ثم في المرة الرابعة والأخيرة ثلاث سنين وثلاثة أشهر إلى أن توفي يوم الإربعاء 21 من جمادى الثانية سنة 1150هـ/ 1737م. ينظر: حسين بن رجب شاوش ابن المفتي: **تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها**، دراسة وتحقيق فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة- الجزائر، ط 1، 2009، ص ص 90- 91- 92.

لمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية. ينظر: أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 2، 1990.

[8] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، المرجع السابق، ص ص 19- 20.

[9] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، د.ط، 2005م، ج 5، ص 171.

[10] يعتبر الداي حسين آخر الدايات العثمانيين الذين حكموا إيالة الجزائر، امتدت فترة حكمه من (23 ربيع الثاني 1233هـ/ 01 مارس 1818م- 05 جويلية 1830م.

[11] حمدان بن عثمان خوجة: كاتب سياسي من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، ولد بمدينة الجزائر، وبها نشأ وتعلم. درس القانون على يد أبيه، ثم قام مقامه بعد وفاته، وأصبح أستاذا في الحقوق المدنية والقوانين الإسلامية. وفي سنة 1784م صحب خاله في زيارة لأهم معالم البلقان والقسطنطينية وغيرها. وفي سنة 1820م زار فرنسا وتعلم لغتها. وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ونظرا لعدم وفاء الفرنسيين بالشروط التي اشترطتها الحكومة التركية عليهم الواردة في معاهدة الاستسلام، نظم الجزائريون بزعامة حمدان أول حركة مقاومة سياسية عرفت بلجنة المغاربة أو حزب المقاومة، فقارع حمدان الإحتلال بقلمه ولسانه، فنفاه الفرنسيون من الجزائر، فكان أول مسلم يطرد من وطنه من قبل دولة أجنبية في قضية وطنية. وبعد أن أقام مدة قصيرة في فرنسا (1833- 1836)م سافر إلى القسطنطينية فاشتغل بالتأليف والترجمة، والتحرير لجريدة "تقويم وقائع" إلى حين وفاته. من آثاره "المرآة" فرغ من تأليفه سنة 1833م. "إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس من الوباء"، وترجمة تركية له. "حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع" رسالة في شرح قول للإمام الغزالي... ينظر: عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، د.ط، 1400هـ/ 1980م، ص ص 136- 137.

[12] سعد الله، أبحاث وآراء...، ج 5، المرجع السابق، ص ص 190- 192.

[13] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، المرجع السابق، ص 262.

[14] لتفاصيل مهمة حول الثورتين، ينظر: أحمد الشريف الزهار: **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168- 1246هـ 1754- 1830م**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1974م، ص ص 84- 87.

[15] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، المرجع السابق، ص ص 267- 269.

[16] نفسه، ص ص 279- 280.

[17] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، المرجع السابق، ص ص 14- 15.

[18] نفسه، ص 15.

[19] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 1، 1992م، ج 1،ص 5.

[20] نفسه، ص 20.

[21] سعد الله أبو القاسم: **محاضرة عن الحضور العثماني في الجزائر**، اليوم الدراسي: **البحر المتوسط في التاريخ**، يوم 26 جمادى الأولى 1431هـ الموافق لـ 10 ماي 2010م، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، 2010.

[22] هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار، الحسني الجزائري (1222- 1300هـ/ 1807- 1883م): أمير مجاهد، شاعر، أديب، عالم، صوفي. ولد في القيطنة بالغرب الجزائري وتعلم في وهران. أدى فريضة الحج مع والده سنة 1241هـ ثم زار بغداد ودمشق. وفي 1233هـ/ 1818م أي بعد استيلاء فرنسا على الجزائر بثلاثة أعوام، بايعه الشعب وولاه القيادة والقيام بأمر الجهاد، وخلع عليه لقب الإمارة، فنهض وقاتل الاحتلال وانتصر في عدد من المعارك ضدهم مما حدا بفرنسا إلى طلب عقد معاهدة صلح معه سميت بمعاهدة دي ميشال سنة 1834م، فتفرغ أثنائها للإصلاح الداخلي وضرب نقودا سماها "المحمدية' وأنشأ مصانع للأسلحة وملابس للجند... لكن فرنسا نقضت المعاهدة سنة 1835م فخرج الأمير بقواته وحاصر جيوشها، وعندما وجد الاحتلال صعوبة في مواجهة الجزائريين في جبهتين، حيث كان أحمد باي قسنطينة يقاوم ولم يستسلم بعد، عقد معه معاهدة التافنة في 1837م التي استمرت لغاية 1839م. وبعد نقض فرنسا للمعاهدة استأنفت الحرب بين الطرفين حتى عام 1847م حين هادن سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمان بن هشام فرنسا، فضعف أمر الأمير وحوصر، فاشترط شروطا للاستسلام قبلها المحتل، فاستسلم في 21 ديسمبر من نفس السنة، ونفي إلى طولون ومنها أنبواز. زاره نابليون الثالث وأفرج عنه مشترطا عدم عودته إلى الجزائر، فزار باريس والأستانة، ثم توجه إلى سوريا حيث استقر بدمشق سنة 1271هـ/ 1855م إلى غاية وفاته. له "ذكرى العاقل" مطبوع، وهي رسالة في العلوم والأخلاق، "المواقف" طبع ثلاثة أجزاء في التصوف، و"ديوان شعر" مطبوع، و"المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد" مطبوع. ينظر: نويهض، معجم أعلام الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 103- 104.

[23] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 3، 1990م، ج 1، ص ص 351- 352.

[24] لقد تأكدت حملة الباي محمد الكبير إلى الأغواط لضمها لحكم الإيالة، فلقد ذكر محمد بن يوسف الزياني البرجي عن الباي محمد بن عثمان الذي كان "(...) كثير الغزو على أهل الصحراء، دائم الارتحال والإسراء، ففتح بني الأغواط والشلالة وعين ماضي (...) وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد من ملوك الأتراك، ووصل المواضع التي صعبت على غيره، وسهل عليه بها الإدراك (...)". ينظر:

محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013، ص 261.

[25] سعد الله، أبحاث وآراء...، ج 1، المرجع السابق، ص 358.

[26] لويس أوغست فيكتور دو قيسناس دو بورمون (Louis Auguste Victor de Ghaisnes de Bourmont) ولد في 02 سبتمبر 1773، وتوفي في 27 أكتوبر 1846م.

[27] تولى الجنرال كلوزيل منصب الحاكم العام من 08 جويلية 1835 إلى 12 فيفري 1837م.

[28] كان مصطفى بن الحاج عمر من التجار الأغنياء بامتلاكه ثروة كبيرة وخدم بمدينة الجزائر، لنه لم يكن من أصحاب القيادة والحكم، غير أن أعضاء بلدية المدينة الحضر نصحوا به الجنرال كلوزيل، فعينه بايا على التيطري خلفا لمصطفى بومرزاق. ولقد رافق بن عمر حملة الجنرال إلى المدية، فترك له حامية صغيرة بدون ذخيرة ، غير أنه بقي شبه محاصر بعد أن حاربه احمد بومرزاق بن الباي السابق، إلى أن جاء الجنرال بيرتزين الذي خلف كلوزيل سنة 1831 وحمله معه إلى مدينة الجزائر بعد تخليه عن المدية تماما. ذهب بن عمر إلى فرنسا وكوفئ بوسام الشرف وهو بعمر 48 سنة. ينظر: سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، هامش (45)، ص 41.

[29] نفسه، ها (44)، ص ص 40- 41.

[30] الداي شعبان: يعرف بشعبان آغا أو حاجي شعبان خوجة (1100- 1107هـ/ 1689- 1695م) من كبار رجال البحر وقادة الجيش. عرف بحزمه وشجاعته وورعه وتقشفه. أقر الأمن وفرض النظام ومد نفوذ السلطة المركزية إلى المناطق الداخلية. تصدى لغارة الإسبان على مدينة الجزائر (1101هـ/ 1690م). أوقف النزاع مع فرنسا بعقد معاهدة سلم وتجارة معها سنة 1689م. رد هجمات سلطان المغرب الأقصى مولاي إسماعيل العلوي على الغرب الجزائري سنة (1104هـ/ 1693م). قمع ثورات الإنكشارية سنة (1105هـ/ 1694م). تدخل في شؤون تونس بفرض وصاية عليها مما أثار نقمة الإنكشارية وأدى إلى عزله ثم اغتياله (1106هـ/ 1695م). ينظر - تعليق د/ سعيدوني- عبد الله بن محمد الشويهد: **قانون أسواق مدينة الجزائر (1107- 1117هـ/ 1695- 1705م)**، تحقيق وتقديم وتعليق: د/ ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 1، 1427هـ/ 2006م، ص ص 42- 43.

[31] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 2، 1990م، ج 2، ص 327.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[32] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، المرجع السابق، ص 15.

[33] ورث الملك الإسباني شارل عرش جده فرديناند الكاثوليكي، الذي استولى على دولة الأندلس وجعلته يتطلع إلى عرش الإمبراطورية الألمانية الذي خلا بموت حفيد الإمبراطور مكسيمليان النمساوي. وكان فرانسوا ملك فرنسا عميد عائلة فالو يتطلع هو أيضا لذلك العرش، فابتدأت رسميا العداوة والمنافسة بين فرنسا وبقية الدول الأوروبية. فاجتمع الأمراء الناخبون بمدينة فرانكفورت واتفقوا يوم 05 جويلية 1519م على انتخاب ملك إسبانيا، الذي أصبح إمبراطورا يحكم معظم إيطاليا وبلجيكا وهولندا والنمسا وبعض الشمال الفرنسي زيادة على الممتلكات الشاسعة في أمريكا. ينظر: أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص ص 272- 273.

[34] استنجد به مع أخيه خير الدين بربروس (1467- 1546)م لتخليص المدن الجزائرية المحتلة من الإسبان منذ 1505م. وقد ترك عروجا أخاه خير الدين حاكما على مدينة الجزائر وتوجه إلى تلمسان، التي وصله طلب أهلها لتخليصهم من سلطانهم أبو حمو الثاني، الذي تحالف مع الاسبان. وبعد انتصار عروج على الزيانيين وقف أبو حمو الثاني عند قدمي ملك اسبانيا شارلكان، وطلب منه إرجاعه للحكم، ليوافق على إرسال عشرة آلاف جندي بقيادة حاكم وهران الماركيز دي كوماريز (le marquis de Comarès) في بداية 1518م. وبمجرد سماع عروج بالخبر طلب مساعدة ملك فاس، لكن الجيش الاسباني خرج من وهران في ماي من نفس السنة، فأراد التحصن بتلمسان على أمل وصول حليفه، لكنه اضطر للخروج منها ليلا قاصدا مدينة الجزائر بعد وصول الماركيز وجيشه وتخييمهم بالقرب من المدينة، فاستطاعوا اللحاق به وهزمه، واستشهاده. وبعد أسبوعين وصل ملك فاس مع أربع فرق من مليلية وعشرين ألف من المشاة والخيل، لكنه اضطر إلى الرجوع بعد سماعه باستشهاد عروج. ينظر:

Fray Diego de Haedo: **Histoire des rois d'Alger**, traduction par H, De Grammont, imp A Jourdan, Alger, 1881, p p. 31- 34.

[35] أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 1، 1424هـ/ 2003م، ص ص 508- 509.

[36] حنيفي هلايلي: **تاريخ الجزائر العثماني في كتابات أبو القاسم سعد الله بين ازدواجية التأليف والترجمة**، الأعمال التاريخية والأدبية والفكرية للدكتور أبو القاسم سعد الله في ميزان الباحثين

الجامعيين، الندوة التكريمية العلمية في مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، إعداد وتقديم وتصنيف أ. د عبد الكريم بوصفصاف، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري – قسنطينة، 12- 13 جانفي 2004، ص 95.

[37] ناصر الدين سعيدوني: **نظرة في التاريخ الاقتصادي للجزائر في العهد العثماني**، سيرتا، مجلة تاريخية اجتماعية يصدرها دوريا معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة، ع 3، س 2، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، رجب 1400هـ/ ماي 1980م، ص 79.